14/05/2019 مجتمع

الشاعر الأردني أمجد ناصر يرفع الراية البيضاء ويرثي نفسه

فاجأ الشاعر الأردني أمجد ناصر قراءه على موقع فيسبوك بتدوينة مؤثرة يوجز فيها فحوى آخر زيارته لطبيبه بمستشفى في لندن حيث تم إبلاغه أن "العلاج فشل في وجه الألم".

قتاع المحارب

امجد ناصر

لا يولد فجر من دون جرح
على جسد الليل دم وتراب ومشيمة

راية بيضاء

في آخر زيارة إلى طبيبي في مستشفى تشرينغ كروس في لندن. كانت صور الرنين المغناطيسي عنده. من علامات وجهه شعرت بنذير سوء. قال من دون تأخير: الصور الأخيرة لدماغك أظهرت للأسف تقدماً للورم وليس حداً له أو احتواء، كما كنا نأمل من العلاج المزدوج الكيمو والإشعاعي.
كان مساعده دكتور سليم ينظر إلى وجهي وفي عيني مباشرة، ربما ليعرف رد فعلي.
قلت: ماذا يعني ذلك؟
قال: يعني أن العلاج فشل في وجه الورم.
قلت: والآن ماذا سنفعل؟
رد: بالنسبة للعلاج، لا شيء. لقد جربنا ما هو متوافر لدينا.
وفي ما يخصني ماذا عليّ أن أفعل؟

قال: أن ترتب أوضاعك. وتكتب وصيتك!
قلت: هذا يعني نهاية المطاف بالنسبة لي.
ردّ: للأسف.. سنحاول أن تكون أيامك الأخيرة أقلّ ألماً. ولكننا لا نستطيع أن نفعل اكثر.
قبل أن أغادره قال: هذه آخر مرة تأتي فيها إلى عيادتي. سنحولك إلى الهوسبيس. وكانت آخر مرة سمعت فيها هذه الكلمة، عندما دخلت صديقة عراقية أصيبت بالسرطان في المرحلة النهائية. يبدو أن الهوسبيس مرفق للمحتضرين أو من هم على وشك ذلك.
قلت له: لدي أكثر من كتاب أعمل عليه، وأريد أن أعرف الوقت.
حدد وقتاً قصيراً، لكنه أضاف هذا ليس حساباً رياضياً أو رياضيات. فلا تتوقّف عنده.

الطريق إلى الكتلة

عدو شخصي

ليس لي أعداء شخصيون
هناك نجم لا يزفُّ لي خبراً جيداً،
وليلٌ مسكون بنوايا لا أعرفها.
أمرُّ بشارعٍ مريبٍ وأرى عيوناً تلمع
وأيدياً تتحسس معدناً بارداً،
لكن هؤلاء ليسوا أعداء شخصيين،
فكيف لجبلٍ
أو درب مهجورٍ أن يناصباني العداء،
أو يتسللا إلى بيت العائلة؟
أيها الشيء القاتم الذي أخذ أمي وحبيبتي الأولى
والأنفاس التي رفعت عليها مداميك حياتي إلى الجانب الآخر من التراب
ما أنت؟
ما مشكلتك معي
إن كنت رجلاً اخرج إليَّ من مكمنك
تعال نلتقي في أي جبَّانة تريد
وجهاً لوجه
لسوف ألقنك مواثيق الرجال
كما لقنتني إياها الصحراء والغدران الجافَّة
أرني وجهك قبل أن تنتضي قناعك الذي تسمّيه عقاباً إلهياً
فأنا لي آلهتي أيضاً لكني لن أدعوها لنزال الوجوه السافرة
إن كان لك دين عندي
أو مشكلة شخصية كأن أكون خطفت هيلين الشقراء من حضنك
ومرغت شرفك في الوحل
مع أني لا أذكر شيئاً كهذا
لا تسترد دينك من الذين يمرون في هذه الدنيا
كما تمر أنفاس الرعاة في قصب الناي..

روح حرَّة
(إلى هند)
أيَتها الروح الحُرَّة.
لم تنطفئ شعلتك رغم الريح التي تهب في غير موعدها،
رغم الأيام الجافة
الأيام الماطرة
النجوم التي صارت صخوراً بعدما هجرتها الأغاني
وهذه الليالي المرسومة بالفحم
كيف كانت ستدلني على الطريق.
زرعنا زيتونةً فأثمرت.
شتلة عنب فغطّت سياج الجارة التي لم تعرف
كيف نصنع من أوراقها الخضر طعاماً وخارطة
يدُك تقلب التراب فتعثر على دودة
تعيدَها إلى مكانها،
شذرة ذهب فتطمرها
لعلها علامة الغريب الباحث عن كنز أجداده الذين مروا من هنا.
كنزك لا يلمع. بل يطلع من غصن يابس، وجذرٍ ذاوٍ.
ها نحن نرفع يداً فيرتد أربعون ظلاً على حائطِ الحمائم المطوَّقة
لم يعد، هنا، للكلام معنى إلا في رواسبه الغائرة
فقد أودع الأيدي سعفٌ كثير لأيام الأسبوع.
أيتها الروح الحرة
لا الأحمال هدَّتك
ولا طول الطريق.
الرحلة التي بدأت برقصة تحت نجم
لم تبلغ تلال الوعد السبعة بعد.

لم تكن لهذه الكلمات مناسبة. هكذا خطر في بالي حينها. إنها ليست أكثر من تحية لرفيقة رحلة شاقة. ولكن كلا، ففي ثناياها، في ما لم أره من وجوهها المحجوبة عني، حتئذ، تمدد شريط من الورم بين جسدين. عندما، لا تجد أي خيار، وربما بمحض اختيار حر، "تتبرع" ببضعة من لحمك (كلية) لتمشي خطوات أكثر مع رفيقة/ رفيق حياتك، قد يكون هذا أقصى ما بوسعك عمله، ثم تظن أنك قدمت، أخيراً، "هديتك"/ أو ربما "أضحيتك". تُقبل "الأضحية" وتقوم بعملها على أفضل وجه.. إلى حين، لكنه حينٌ طويل بعض الشيء (ست سنين)، إلى أن "تتسرطن"، وتفشل.. ثم يصار إلى استئصالها ورميها في مختبر ما لمزيد من "الدراسة" والتحليل.
**
كان صيف لندن هذا العام "هندياً" كما يقولون، هنا، عن الطقس الحار. يبدو أنني غفوت على أريكة في صالون منزلي. فكَّرت أنني أحلم: كان حولي ابني وابنتي وأخي، وكل منهم يقيم في بلد، تأكدت أنهم موجودون فعلاً، فهم يتحدثون، وهذه أصواتهم التي أعرفها. وهذه يد ابنتي تمسح العرق الذي بلل رأسي وعنقي بمنشفة. مع ذلك أظنني سألت باستفهام، أو استنكار، (لست متأكداً): لِمَ أنتم هنا؟ لأنك لست على ما يرام. كان رأسي خالياً من أي صورة. ذهني مشوَّش، ولكن بلا تفاصيل. أخبروني بما جرى:
كنت أنزل من سيارة أجرة أمام بيتي، ثم سقطت على الأرض. لكن لِمَ كنت أستقل سيارة أجرة وأنا لدي سيارة؟ يبدو أنني كنت عائداً من المركز الصحي المحلي بسبب صداع "زائد" عن الحد أصابني في الأيام الماضية. صداع غير

ذلك الذي تعايشت معه طويلاً. حتى مع هذا التسلسل للأحداث، المسرود علي، ظلت هناك ثغرة لم تردم. في يدي سوار بلاستيكي عليه اسمي ورقمي الطبي، وتاريخ يشير إلى يومين سابقين. ما هذا؟ سوار كهذا لا يوضع في اليد إلا إذا نمت في مستشفى. هناك خور في جسدي. داخلي فارغ. إحساس بتخدير قوي. تذكرت ليلة طويلة في جناح الطوارئ. كنت هناك. كان لدي ألم لا يطاق في خاصرتي اليمنى. صداع شديد. سمعت كلمة مورفين. كأني قلت لهم: كلا. ولكنهم لم يسمعوني. أو لم يتوقفوا عند اعتراضي. ألم كهذا لا يعالج إلا بالمورفين. هناك تقرير صغير يقول: احتمال حصى في الكلية! لم تكن هناك صور شعاعية للجسم، الرأس خصوصاً.
جاءت سيارة الإسعاف التي أقلتني إلى مستشفى تشيرنغ كروس، ذائعة الصيت، وليس مستشفى منطقتنا، في غرب لندن. في الأثناء قام الطاقم الطبي بفحصي. ركزوا على يديّ وقدميّ. عيني. طلبوا مني رفع يدي إلى الأعلى. خصوصاً الجانب الأيسر. هؤلاء يحملون أجهزة متكاملة. يصلون إلى نتائج سريعة ويقررون طبيعة المستشفى التي يتوجهون إليها. كنت وحدي. هذا ما أظنه. لا أحد من عائلتي معي. أين هم؟ زوجتي في المستشفى. مستشفى آخر. سرير آخر. بجانبه كرسي لزائر. الفشل الكلوي يعود بعد سنين من العمل "الجيد" لكلية "سليمة". لكن هذه الكلية السلمية يتسلل إليها الورم السرطاني. جاء هذا من جسد لم يكن يعاني أوراماً، ولا حتى في الخيال!!
فهمت من الطاقم الطبي أن الأمر قد يتعلق بجلطة دماغية. السرير يدفع في الباب الرئيسي لمستشفى تشيرنغ كروس. إلى الطابق الحادي عشر (أم لعله العاشر؟). تظهر لافتات تشير إلى الجراحات الدماغية. بلا إبطاء إلى تصوير المقطعي. لا تتأخر الصور في الظهور. أنا في السرير. يسألني الطبيب الذي يقدم لي نفسه: دكتور خان. أسئلة ستكرر لاحقاً، بلا توقف تقريباً. يعود الجسد إلى اسم وتاريخ ميلاد ينبغي أن ينضبطا في ملف طبي. جاء طبيب شاب يدعى علي: مصري. يتحدثان. الصور تظهر شيئاً آخر. كلا، لم تكن جلطة دماغية. شعرت أن دكتور خان يتهيأ لرمي قنبلة. سألني إن كنت أفضل وجود فرد من العائلة. قلت له مازحاً، كأنك تمهد الأرض لرمي قنبلة؟
ضحك. قلت له: ارمها:
الصور تظهر، للأسف، ورماً في الدماغ.
ماذا؟
ورم في المنطقة اليمنى من الدماغ، ها هي الصورة. أرى الصورة. وردة متوحشة. شكل هندسي نابض. يسميه دكتور خان: كتلة MASS.
صمتٌ. لم أكن أتوقع خبراً كهذا. ربما أي شيء آخر.
ينتقل، فوراً، إلى ما هو عملي: سنبدأ علاجاً بالسترويد لتخفيف ضغط الكتلة على الجوانب الأخرى من الدماغ، ووقف الصداع.
من بين كل كتل الدنيا، خطرت في بالي لحظتها القصيدة التي سميتها: قصيدة الكتلة. بلوك. أردت أن أفهم من الطبيب المصري (المساعد) المزيد بعد انصراف خان. لم أجده. كنت رأيته يدخل مكتباً قريباً للأطباء. نزلت من السرير. مشيت في ممر كان يعج بالممرضات والممرضين وعاملي النظافة وصار الآن شبه فارغ .
رحت أغني أغنية مصرية: أنت فين يا علي أمك بتدور عليك!

الليل، لا نوم

بقيت وحدي. عدت من رحلة الممر العبثية إلى السرير. الليل لا يزال "شاباً" على حد التعبير الإنكليزي.
شظايا القنبلة تتحرك.
كتلة..
ورم..
لو لم أقع على الأرض ما عرفت بالتشكّل السريّ لهذه الكتلة، هذا الورم..
لقد كنت قبل ساعات فقط من "الأصحاء"، وها أنا في قسم خاص بالأورام الدماغية في مستشفى كنت أرافق إليه زوجتي، المريضة بالفشل الكلوي، من أجل "غسل" الكلى ثلاث مرات في الأسبوع، ولم أتخيل نفسي مريضاً في أحد

أقسامه، بل لعله أكثرها إثارة للخواطر السيئة.
لم يطلع النهار بسهولة. يبدو أن الليل كان في أوله. منتصفه. لا أدري. أنا الآن في وضع غير الذي كنت فيه (ولم أكن أعرفه) قبل ساعات. قبل يوم. قبل أيام. شعرت برغبة شديدة بالتدخين. معي علبة سجائر. رغم أني توقفت عن التدخين ست سنين. طلبت من الممرضة المسؤولة عن الجناح أن تسمح لي بالنزول إلى الطابق الأرضي لتدخين سيجارة. رفضت. ألححت. فوافقت. أرسلت معي ممرضة وكرسياً متحركاً. كان هناك مرضى غيري يدخنون. لا تزال هناك حركة في شارع فولهم بلاس الذي تقع على جانبه المستشفى، أقف بالقرب من كتلة هنري مور. من تمثالي المتكئين إلى بعضهما بعضاً في مدخل المستشفى.

كتلة هنري مور

هذا ليس النصب الأصلي، بل هو نموذج مصغر من العمل الضخم الذي نفذه هنري مور بطلب من مركز لنكولن للفنون في منهاتن/ نيويورك. هناك يبسط عمل مور سيطرته على الفضاء/ طالعاً من بركة ماء. لا يختلف النصب الصغير في مدخل مستشفى تشارينغ كروس من حيث علاقته بالماء، عن الموجود في مدخل مركز لنكولن للفنون في منهاتن، الفارق يكمن طبعاً بالحجم. هنا في مدخل المستشفى يطلع النصب من بركة ماء صغيرة مخضوضرة تنعكس عليها صورة الكتلتين المتكئتين على الماء. ذكَّرني ذلك بآية قرآنية تقول: وكان عرشه على الماء. المقصود هنا عرش الله. قطعاً لم يكن ذلك في ذهن هنري مور وهو يصنع نصبه البرونزي. بيد أن هذا يمكن أن يدور في خلد واحد له مرجعيات ثقافية مثل مرجعياتي. ثم إن صلة النصب والتماثيل، عموماً، بالمقدس تبرر الخاطر الذي راودني. مؤكد أن النصب الحديثة انقطعت عن منشأها الأول، عن وظيفتها الأولى، كرموز، أو تجسيد للتصورات البشرية في خصوص الآلهة، لكن من يستطيع منع المقدس من الحضور في النصب والتماثيل؟ لقد رأى المثالون الحديثون النصب والتماثيل الطالعة من فكرة المقدس ودرسوها في الأكاديميات التي تخرجوا فيها. وفي هذا الطور من عمله الفني تخلى هنري مور عن النماذج والموديلات التي كانت تمهد للعمل الفني وصار يعمل مباشرة ، بلا موديل مسبق، على المادة نفسها، سواء كانت برونزاً أم حجراً، التي يجب، حسب قوله، احترامها فهي لها "حياتها المكثفة الخاصة بها"، والتي يتعين عليه، كفنان، إفساح المجال لها بالظهور.
وجدت في "كتلة" هنري مور حليفاً لي في ليل الأرق الذي كنت أتسلل فيه من جناح المصابين بالأورام مثلي، إلى البركة التي يتكئ إليها نصفا تمثال هنري مور.. هناك من "تسللوا"، مثلي أيضاً، من أقسام المستشفى المختلفة. بعضهم للتدخين، كما صرت أفعل، بلا هوادة، آخرون لتناول طعام غير ما يقرره علينا مطبخ المستشفى..

*

دخنت أربع سجائر متعاقبة. ظمأ؟ انتقام؟.. هذا الرجل الذي يشعل سيجارة من عقب أخرى ليس أنا. هذا هو الرجل المريض. إني أرى انعكاس هيكله البشري في بركة الماء المخضرة التي تنتصب فيها كتلة هنري مور. يرتدي مريولاً تقطعه مربعات زرقاء وخضراء صغيرة. هذا زي المستشفى. في رسغه الأيمن سوار بلاستيكي عليه اسمه (أحد أسمائه!) ورقمه الصحي وتاريخ دخوله إلى المستشفى، يدخّن. ولكنه لا يفكّر. لا فكرة تخطر في باله سوى أن هذا الرجل الذي يتراقص ظله في البركة مريض، وأنه ليس هو بالضبط، وأنه لا يعرف ما الذي جرى له، بالضبط، وأنه ليس مسؤولًا عن ذلك. ولكن، مع هذا كله، عليه أن يعتاد وجوده. الأفضل، طبعاً، أن يفهمه ويتسامح معه. قد لا يكون الذنب ذنبه.
طلبتُ من الممرضة أن تعيدني إلى السرير. أريد أن أنام. أعود إلى الجناح. صوت غطيط النوم يُسمع عالياً. ثمة من ينام هنا. ثمة من حطّ عليه ملاك النوم. لكن ليس أنا. الوقت لا يمر. الليل صامد. تخطر في بالي أفكار غريبة بل أخلاط أفكار وصور وكلام قديم. أفكر في نصي "حديث عادي عن السرطان". أتذكر مسرحه. وسببه. شخص

(صديق) أصيب بالسرطان. اثنان آخران يعرفانه. يتحدثان عن مرضه. الحوار حول سرطان الصديق يبلور نبوءة عشوائية:
-الشخص الأول يقول إن أخاه توفي بالسرطان في الأربعين من عمره، فيقول الثاني إنه قرأ لا يدري أين أن المرء يموت كما يموت أهله، ثم يقول إن أمه صارعت السرطان مرتين آخرها كانت في أوائل الستينات من عمرها.
النتيجة التي يخلص إليها الشخص الثاني: أنت تجاوزت عمر أخيك، فيما لما تزل أمامي سنون أمي المكتنفة بالاحتمالات!
أفكر: لماذا أعدت نبشه؟ لماذا نشرته قبل فترة قصيرة جداً من إصابة زوجتي بسرطان في الكلية، وقبل أن تتكون فكرة، أو أضغاث فكرة، عن ورمي الدماغي في ذهن عابر، لا أعرفه ولا يعرفني، في القطب الشمالي؟

أغافل الممرضة المسؤولة. أنزل من السرير. هناك باب أوتوماتيكي يفتح على المصاعد. دقيقة وأكون أمام المصعد. أهبط إلى الطابق الأرضي. لا أحد. ولا حتى عمال النظافة. الفجر بعيد. وهذا الليل لا ينتهي. ليلة الكتلة المتمددة في الدماغ. أمشي في الطابق الأرضي الفارغ من الناس. هذا عادة خلية نحل بشرية في الصباح وصولاً إلى الظهر. الكراسي مرفوعة على الطاولات. أخرج إلى ليل هنري مور. كتلته البرونزية. لا أحد. الماء ساكن. سيارات وشاحنات تمر بتقطع في الشارع. لطالما أثار شغفي أولئك الذين ينقلون، آخر الليل، مع الفجر، البضائع والمواد الاستهلاكية في شاحنات أو فانات صغيرة لتكون جاهزة للعرض والبيع ما إن تفتح الحوانيت أبوابها. راقبت أكثر من فجر في الطابق السفلي في المستشفى عندما كان مزوّدو المقاهي والدكاكين بالحليب والعصائر والخبز والمعجنات والصحف والمجلات يضعون هذه الطلبيات أمام أبواب المحال المغلقة حتى الآن. لن يطول الوقت حتى يجيء أوائل العاملين في هذه المحال ليضعوا طلبياتهم في البرادات وعلى الأرفف.

كوميديا الاسم

في هذا المستشفى البابلي ينطقون اسمي حسب ألسنتهم، وربما حسب أسنانهم. مرة ينادونني يايا، مرة يهياي، وثالثة يهي. في الخارج لي أسماء أخرى تنتظرني لتواصل عملها الآلي على ما يبدو. من أنا؟ لا أعرف. سوى هذا الجسد المتعثر بأسمائه.
يدبُّ الاسم وحده على الطريق ويكرج.
الذين سموني ماتوا. تركوا لي هذا الاسم يتضخم في الدوائر والمعاملات، ويتكفل بمصيره.
ماذا في الاسم؟ سؤال قديم.
ما الاسم؟
لثغ مرح،
إيقاع يتجدد على كل شفة؟
أم رمل، ملح ثقيل يطهرون به كل ما يفسده اللسان؟
لا اسم فارغاً. ارمه سيرنٌ كحبة جوز صلبة.
لا اسم ملآن.
اكسر حبة الجوز هذه: فارغة.
ارم الاسم في أي أرض يصبح شجرة.
في أي رحم يصبح سلالة. لكنه يظل وحيداً مع ذلك.
من يحمل عبء الآخر: الاسم أم الجسد؟ هذه المرة عرفت أن الاسم سيد التخلي. ماذا يبقى من الاسم؟ جرح الولادة، ندبة الموت، لا شيء. تحت الاسم اسم. اكشطه سترى الترسبات الألفية للجفاف الذي استمر طويلاً هنا. أسئلتي كانت

أسهل عندما كان اسمي يمشي جانبي كرفيق غير مرغوب فيه. من منا المصاب بالورم، ويرزح تحت الكتلة؟ جسدي أم اسمي؟

يد/ قدم

أرقب أطرافي. يدي تتضخم. قدمي تصبح جذع شجرة. لم تكن هذه يدي ولا هذه قدمي. آخرون جاؤوا بسلالم قصيرة وسكنوني. يجتاحني الخارق. جسدي يدعوه في غفلة مني. أفكر أني إن نفضت رأسي ستتفتت الكتلة وتتطاير شظايا. ألا يعتقد أولادي أني سوبر هيرو؟ تبقى مع ذلك هذه يدي. هذه الأخاديد العميقة في راحتي، خارطة ترحالي، خط العمر، ورقة عنب؟ أعجبني التعبير. فعلاً، كأنّ يدي ورقة عنب تخترقها خطوط وعلى وجهها شبكة من الشرايين والشعيرات والأنهار الصغيرة الجافة. كان لأمي يد مثل يدي. كانت تموت تحت جناح السرطان. وكنت أحاول فهم الكلمة التي بادلَتَها بنفس أخير: نور. ربما المسمى نفسه. فقد هجرتها الأسماء. كنت أقول لها بوقفتي الطائعة أمام نظرة العين اليمنى، إنها لن تترك قمح يديها يتحلل.

*

رأيت أخواتي، في المنام، كن على برندة بيتنا في المفرق. كان الوقت مساء. كان هناك إبريق شاي وعدد كبير من الكاسات، لم يكن هناك ضيوف، أو أحد من إخواني. بجانب إبريق الشاي صحن صغير فيه أعواد نعنع. كن يعرفن "وضعي الصحي" بتفاصيله رغم أني لم أخبرهن. قلن لي: رأيناك تقع هنا بطولك كله في مدخل بيتنا في المفرق وليس في لندن. هل تذكر عندما دخلت عتبة البيت ووقعت على يديك ووجهك؟ قلت: أذكر، لكن ذلك حدث قبل أشهر، وكانت هناك درجة لم أنتبه إليها.

تحت رحمة الكتلة
ليس لجسدي اسم في هذه الممرات المقفرة. له حيز يشار إليه باليد.

رأيت علي في اليوم التالي. فكرت في أغنية الليلة التي تركت كلها لي بعدما انقض الجميع. ضحك عندما أخبرته أنني غنيتها. قال ضاحكاً: لكنك لست أمي!
-المهم؟
المهم هو إزالة الورم. سيحدد مستر بيترسن وقت العملية. المزيد من الصور. ربما هذه المرة للجسد كله. الصباح يدب بعجلاته وخفق مراييل ممرضيه ومرضاه. المرضى المحيطون أخذوا أدويتهم بحجوزات كرتونية بيضاء. هناك أداء أوتوماتيكي. هناك لغة مشتركة وخلفيات نسجت بينهم وطاقم القسم.
واضح أنهم سبقوني إلى هنا. وضعوا روتيناً. أنا الآن أحدهم. شقيقهم في المرض، وربما في المحن التي لا أعرف عنها شيئاً "لم أكن مريضاً"، ولم تكن لدي محنة سوى ورطة الوجود الإنساني نفسه. سوى أنك لغز، سوى أنك لا تعرف هذا اللغز الذي سيفسر لك عن وجه مقنع أيضاً.
أنا الآن تحت رحمة الكتلة. هل استدعتها كلماتي؟ يا للسخف كيف أفكر بذلك؟ هل جاء وقت قصيدة حديث عادي عن السرطان. لتثبت لي مرة واحدة في حياتي أني كنت مصيباً، أن الشعراء قادرون على التنبؤ بمصائرهم؟ من يصدق ذلك؟ أنا أول المكذبين.
لاحظوا معي: هناك شخص صامد في هذا السرد الطالع من مناسبة رحيل صديق مشترك. الراحل. السارد. المسرود عليه. المسرود عليه كان قد نجا، بحسب السرد من آفة السرطان التي أصابت أخاه. لقد تجاوزه في العمر. السرد يقول إن الناس يموتون كما يموت أهلهم. كانت أمامي بضع سنين (...) لأبلغ العمر الذي رحلت فيه. أنا الآن في هذه السنين بالضبط.
**

أفكر أن مرضي يشبه حياتي. تطرف. لا توسط. مراودة الأقصى.
أنتظر العملية الجراحية. الورم في دماغي أنا وليس في أدمغة الأطباء. ليسوا مستعجلين. أنا المتعجل. لا على ذهاب ولا على بقاء. ولكن على إزالته فقط، لست مرتاحاً لوجود هذه الكتلة القاتمة في دماغي.
كل شيء حيٌ هنا في حديقة بيتي الصغيرة. هذا الطير الثقيل الذي يمر بجانبي وفي منقاره عود يابس. واضح طبعاً أنه يبني عشاً في الأكمة الخضراء التي التفت على شجرة السرو.
رأسي مسنود إلى نبتة مليسة تفوح منها رائحة ليمونية تنفذ إلى القلب.
منعني الطبيب من التدخين بتاتاً. قلت له بعد كل هذا الورم في دماغي؟ قال: ليس هذا قصدي، بل للتنفس بعد العملية ولتسريع شفاء الجرح بعدها.
أجرت العملية جراحة شابة تدعى صوفي
لا أعرف أين دخلت وكيف خرجت
ولكني أتذكر قبل دخولي إلى غرفة العلمليات أن بني أنس قرأ علي قصيدة يحبها ويعرف أني أحبها ايضا

أي إيثاكا هذه؟
كم مرة كتبت عن هذه القصيدة من قبل؟ كم مرة قرأتها؟ العديد من المرات.
ولكنها لم تظهر على هذا النحو مرة من قبل.
أي إيثاكا من قبل كانت هدفاً لرحلة، أو عودة من نوع ما.
أي رحلة هذه التي أسمع فيها صوت ابني أنس يقرؤها عليّ بترجمتها الإنكليزية البلورية وأنا أهم بالدخول إلى غرفة العمليات؟
**
وأنت تنطلق إلى إيثاكا
فلتأمل أن تكون رحلتك طويلة
حافلة بالمغامرة، حافلة بالاكتشاف
لا تخف من الليستريغونيات والسيكلوبات
وبوسيدون الغاضب
لن تجد شيئاً من ذلك في طريقك
طالما احتفظت بأفكارك سامقة
طالما مست روحك وجسدك الإثارة الرائعة
لن تقابل الليستريغونيات والسيكلوبات
ولا بوسيدون الغاضب
ما لم تحملهم داخل روحك
ما لم تضعهم روحك أمامك
فلتأمل أن تكون رحلتك طويلة
ولعل صباحات الصيف تكون كثيرة
ويا لها من متعة’ يا لها من بهجة
لتدخل موانئ تراها للمرة الأولي
ولعلك تتوقف عند محطات التجارة الفينيقية
لتشتري أشياء جميلة
عرق اللؤلؤ والمرجان، العنبر والأبنوس
فوصولك إليها، هو غايتك الأخيرة
لكن لا تتعجل الرحلة أبداً

فالأفضل أن تستمر لأعوام طويلة
حتى لو أدركتك الشيخوخة، وأنت تصل إلي الجزيرة
غنياً بكل ما جنيته في الطريق
دون انتظار أن تمنحك إيثاكا الغنى
لقد منحتك إيثاكا الرحلة الرائعة
فبدونها ما كان لك أن تبدأ الطريق
لكن ليس لديها ما تمنحه لك سوى ذلك
فإذا ما وجدتها فقيرة، فإن إيثاكا لم تخدعك
فبالحكمة العظيمة التي جنيتها، بهذه الخبرة الكبيرة
لا بد أنك ـــ بالتأكيد ـــ قد أدركت، بذلك ما الذي تعنيه إيثاكا.
(ترجمة: رفعت سلام)
**
قرأت هذا من قبل. أعرفه، وكنت أظن أنني أعرف إيثاكا التي يعنيها كفافي وأعرف أن الطريق إليها لم يكن سهلاً ولا أقل أهمية.
أو على الأقل لم تكن هدفاً أقل من الوصول إلى "البلاد"، أو "الوطن"، أو أيُ ما تعنيه إيثاكا لكل واحد منا.
ولكن عن أي إيثاكا يمكن الحديث؟ بل أي إيثاكا تبدو لي وأنا أسمع صوت ابني أنس يقرأ قصيدة الشاعر اليوناني العجوز؟
الرحلة؟
إلى ماذا؟
العودة؟ إلى أين؟
أفكر في هذا وأنا جالس بالقرب من نبتة المليسة. ها هي حية، نضرة، ذات رائحة لا تنضب وها هو صباح جديد يغمر حديقة بيتي الصغيرة. لا صورة للحياة أقوى من ذلك: جوقة من أصوات طيور وعصافير تتداخل ... وأسمعها تنتقل من شجرة إلى أخرى؟
*
"تجهيز: نفسي"
اول صورتيذ؛
قبل العلاج الاشعاعي:
رأيت وجهي
لقد صبوا قناعا" بلاستيكيا"على رأسي
صبوه بكل معنى الكلمة. أدخلوا رأسي في الة
وراحت تنسج خيوطها البلاستيكية
باحكام حول رأسي...
وما أن انتهوا رأيت نفسي في مرآة الحمام
ففزعت. من هو هذا الرجل
الفضائي؟ أو هذا الحرثون الكبير. أو الحرباء المرقطة
بالأخضر؟

بهذا القناع المحكم الى درجة انه يترك أثره على وجهي له شكل فتحات وشبابيك صغيرة وظيفته تثبيت رأسي عندما تصلط الأشعة .. لا حركة لا نأمة. هناك شخصان على يميني ويساري يضبطان الإحداثيات وينقلانها مباشرة الى غرفة التحكم التي اعرف اين هي

أعبر ممرا في الخارج فيه مراية وأرى هذا الرجل الأخضر يمشي الى جانبي
أهذا رجل أم تجهيز فني؟

العصفور المغرد
أهلاً أيها العصفور المغرد. ها أنت تتفقد موقعي اليوم، بجانب نبتة المليسة، أو التي يسميها الإنكليز فيزبانا.
أسمع صوتك في أغصان شجرة السرو، أعرف هذا الصوت جيداً، ولطالما سمعته في هذا الركن من حديقة بيتي الصغيرة.
ولطالما رأيتك ... بالقرب مني. لا تخف. ثم تطير إلى غصنك. لكن اعذرني نسيت اسمك، لا أظن أن هذا الأمر يؤثر على علاقتنا الطويلة، فأنت أيضاً لا تعرف اسمي. ترى جسدي المكوم على كرسي ... شعر رأسي الشائب. تعرف أنني أنا، تسمعني موسيقاك من دون أن أطلبها. وبلا قيد أو شرط.
المهم الآن هو وجودنا. أنا أؤكدك وأنت تؤكدني. هذه علامة حياة لكلينا.
*

جسدي
جسدي يتداعى كمركب للاجئين في بحر هائج.
الألواح تسقط..
المياه تصعد إلى السطح.
المحرك يتلقى ضربة من قرش أو حوت.
الحصار محكم.
وأنا لا أستطيع الفرار.
ليتني أستطيع أن أترك جسدي هنا.
وأنجو ببضع حبات جوز وضعتها في آخر لحظة في جيبي.
**

جسدي يخذلني.
وهذا ليس جديداً.
كان يفعل ذلك مراوغة.
الآن صريح ومباشر في مسعاه.
كلما نهضت وقعت على الأرض.
لا أستطيع أن أبقى واقفاً على قدمي ما تبقى لي من أيام.
حتى الشجرة لا تفعل.
ألم نر أشجاراً ممددة إلى جانبها لكي ترتاح من عبء الوقوف؟

كحلم شمسي مراود

في قلب هذا الجفاف الوطيد تذكرتكَ. عرفتُ، بنزلة شمسٍ خفيفة، من أين جاء وجهكَ. ولمن تنتمي نظراتك الحبيسة في تلك الأقفاص الخضراء! أن تكون هناك لا يعني أنك هناك بالضَبط. ليس بخارطة الأنفاق يمتلك المرء مكاناً ولا بجلوسه في طبقة عُليا لحافلة حمراء يصبح مواطناً تلقائياً للمطر والهدير، إذ ثمة شيءٌ يبقى في الوجه. في لمعة العين. في خطوط اليد المبسوطة على المائدة. ثمة شيءٌ يخبئه اللسان تحت جملة أجنبية دارجة قد يكون كلمة السّر! لم تتأكد مما عنته الشاعرة المتحدرة من بطنٍ عربيٍّ قديمٍ عندما كتبتْ إليك تلك الكلمات، أثناء زيارتها للبلاد التي غادرْتَها، خلسةً، وعدتَ إليها بجناحٍ تساقط منه ريش كثير. قد يكون ذلك تعريضاً مبطناً لم تلتقطه وفات أوان الرد

عليه، أو لعلها مجازات الشعراء التي لا يعوَّل عليها كثيراً في فصل القمح عن الزؤان؟ أو ربما هو، حقاً، ما رأته فيك عينُ الشاعرة التي كأنها قالت إن أسلافها ينتمون إلى قبائل الصحراء. وجهُها، على ما تذكر، طالعٌ من حقل شعير. قد تكون سمراء. ذلك الوسم الشمسيّ المطبوع على الزند والترقوة. ولها، إن أردتَ ردَّ التحية بالمثل، نظراتُ قبَّرة حبيسة. أهي نظرات الكائن البشري في المدن الكبرى المطوقة بالكاميرات وأنصال الليزر والخوف من الغرباء، أَم النظرات التي تبحث عن فضائها الأول الضائع دون جدوى؟ أنت، فعلاً، لا تدري. فالشاعرة المتحدرة من بطن عربي قديم لم توجد تقريباً. وتلك الرسالة لم تصلك إلاّ في حلمٍ أو ما يشبهه، وليس صعباً على ثلاثة، أو أربعة، يعرفونك أن يردوا حيرة كلماتها إليك.

لم تفكّر طويلاً بمغزى تلك الكلمات التي تشبه الشِّعر واللغز والحياة. احتفظتَ بها، هكذا، كطلسمٍ في رأسك. كوقعِ خام. كحلمٍ شمسيٍّ مراود. ستعاودك، بنبرتها الملتبسة، كل مرة تبدو فيها تلك الأرض، من نافذة طائرة تبدأ هبوطها التدريجيّ، بحراً من الصُفُرة قلما تتخالله بقعة زرقاء أو خضراء. فها هو الجفاف الذي تذكرتك، في طقطقة هوائه وتحت لفح شمسه، شاعرةٌ في حلمٍ، أو ما يشبهه، لا يزال على حاله. ولكن هل تغيرت، تحت هذا الجفاف الوطيد، الكائنات والأشياء والاعتبارات؟ ما الذي تبقّى من ذلك البيت، من جوارٍ قديم، من البداوة والصحراء و"الأصالة" في أزمنة توحدها، عنوةً، علاماتٌ مسجلةٌ صارت إيقوناتٍ طائرةً لعصرٍ اللاهث؟ أكانت تلك الصحراء، التي انحفرت طبوغرافيتها المضللة في أقدام طفولاتٍ حافيةٍ، صحراءَ فعلاً؟ بلا أثرٍ لحيواتٍ قديمةٍ في مدى يبدو لمن يراه، أول مرة، غير قابل للحياة والسُكنى؟
ستحاول، هنا، أن ترى وتتذكر وتحلم، فمن يعرف مونولوغاتك الطويلة سيتوقع، بلا شك، روائح كامنة وأشباحاً متراقصةً في خلفيتها. سيتوقع طرقاً وأبراجاً وبيوتاً مشرعة الأبواب وشاياً ونعنعاً وبرندات وحب هال وبناتٍ في مراييل مقلَّمة وبناطيل شارلستون وقمصاناً مشجَّرةً وأشجار كينا وأغنياتٍ تقطع نياط القلوب ومراهقين مضحكين وآباء قساة ومروءاتٍ مفتعلة، ورائحة صابون معطر ورسائل لمْ تقرأ وأخرى لم تصل. إنه أمرٌ سيءٌ، لا أخفيك، أن تكون متوقَعاً إلى هذا الحد، بلا مفاجآت تُذكر. لكن لا تتزعزع كثيراً. حافظ على شيء من رباطة الجأش في وجه ملاحظةٍ محقةٍ لا تخلو من خبثٍ تعرف مصدره جيداً.

لتلك الأسباب، ولأخرى أقل وضوحاً في ذهنك، لن تعزل الماضي عن الحاضر ولا ما خبرته شخصياً عما سمعته من الناس أو قرأته في الكتب. ستترك للذاكرة أن تتداعى وللعين أن ترى، وقد تحلم في رابعة النهار، قد تطول جملتك وقد تقصر، ربما ستثرثر أو تصمت، لكنك لن تطوف في طول البلاد وعرضها بحثاً عن اسم ضائع أو معنى مطمور، فإن كان لا بدَّ من خط يقود خطاك ويستحث بصرك، هناك واحد ستسلكه بتعرّج. خط – طريق له أسماء بعدد أغراضه، وأحياناً باسم عابرين لم يولدوا هنا. ذلك هو "خطك" الذي أمضيت العشرين سنة الأولى من حياتك بالقرب منه، ولم تعرف سوى أنه مكان للعب أو الهرب من المدرسة أو رصد حركة الحيوان، أيّاً كانت فصيلته، ما إن تدبّ على الأرض، وليس جادة كونية وقف على حجارتها المرصوفة، في اتقانٍ، ملوكٌ ورسلٌ حفظ الحجر اسماءهم، وبشر عاديون لا تحفل بخطاهم المبعثرة، عادةً، سجلات شهرة كهذه. إنه خط القوافل والغناء والغارات والعزلة والقصور والآبار وهسيس الريح وعجلات الطنابر، يخترق المكان، كعمود فقري، من الشمال إلى الجنوب تاركاً على جانبيه مدناً وقرى ودساكر وآثار تجار وحجاجاً وغزاةً وشعراً وعملاتٍ وحماماتٍ ومعابد.

إذهب إلى البارحة وقل لمن تتراءى في عينيه أطياف لم تتجسد بعد:
فكِّر مرتين قبل أن تلتقي رجلاً بشاربين كثين صبغهما التبغُ بصفرته
يتأبط كتاباً وينتظر، كقدرٍ أو صدفة مُدبَّرة، إلى طاولة مقهى جانبيةٍ
خطوَ الطريدةِ بقدمين مسرعتين إلى الفخ.

هناك بداياتٌ عديدةٌ لتعقّبِ خيوطٍ فلتتْ من أنوالٍ ظلَّت تدورُ بقوة الدفع:

البيت ذو الروائح السبع، ساحة اللعب الترابية بين أباريق الوضوء ومطارق الأعمام الرفيعة،
أعمدة الكهرباء التي قرأتَ تحت نورها العموميِّ رواياتٍ عن السفر والموت حبّاً على قدمٍ واحدة،
النافذة ذات الدرفتين الخشبيتين التي تتمشّط أمامها بنتٌ ستخرج عمّا قليل بمريولٍ مخطّط بالأخضر وذيل فرس،
الأرملة الشابة التي تتفقد صلابة نهديها تحت ثياب حداد اجبارية، صديق الطفولة والفرار من المدرسة الذي يحفظ أغاني أكثر من جدول الضرب، جامع أعقاب السجائر المزدهي بتشكيلته الفريدة من الروائح العطنة، كشّاشُ الحمام الأفّاق الذي يدرِّب طيراً جارحاً على التخفي كحمامةٍ وديعة،
المهووس بالرقائم والذهب الذي يخرج بفانوسه السحريّ ما إن ينام الناس ليقلّب عظاماً نخرتها القرون، القارىء النهم الذي يتقمص شخصيات الكتب يكون يوماً "روبنسون كروزو" ويوما آخر سندباداً بحرياً يمتطي طائراً بحجم غمامة، إلخ إلخ. لكن البداية التي تلوِّح لك الآن بقميصٍ مشجَّرٍ تركته يجفُّ على حبل غسيل ممدودٍ بين سروتين كالحتين كامنة هناك: في بيتٍ تغيرت هندسته المرتجلة وتناقص قاطنوه مع دوران عقارب ساعةً أكثر دقة من "بيغ بن". ترى، الآن، كأن هناك منً يمنحك فرصةً ثانية، امرأةً ترتدي "شرشاً" أسود بلا تطريز من أيّ نوعٍ، فهو ثوب العمل وليس الخروج من البيت، مع أن الفارق بين الاثنين لا يلحظ تقريباً. رأس المرأة ملفوف بـ "طفخة" سوداء. بين النحر وفتحة الثوب "ملفع" أسود أيضاً. امرأة نحيلة في الأربعين. أطول قليلا من جاراتها، وتلك ميزة أورثتها، بزهوٍ مضمر، لبعض بناتها، فجهةُ الأب، قصيرةُ القامة، وقفت لذريته بالمرصاد. المرأة في حوش البيت. أمامها صاجٌ فوق أثافيه الثلاث، بجانبها معْجَنٌ ألومنيوم كبير مغطى بشاشة بيضاء. تحت الصاج الحديديّ جمرٌ متوهج. ثمة شمسٌ تصعد بعزمٍ من شرقٍ أصفرَ مترامي الأطراف. نسمةُ صباحٍ باردة تخفف وهجاً ينداحُ على شكل دوائر سراب صغيرة، لكن، مع ذلك، ثمةَ احمرار طفيف على خديّ المرأة الحنطيين. المرأة التي تبسمل بشفتين برتهما الأدعية والصلوات تمدُّ يدها إلى المعْجن الكبير. تكشف الشاشة البيضاء. ثمة عجين فائر. بيدين تدربتا باكراً على استدراج البَركة تُمدّدُ قطعةً لدنةً بحَجم قبضةٍ فتصبح قرصاً شفافاً يستقر على حدبة ملتهبة. لا يطول الوقت حتى يحمرّ. تنزعه بيدها الاتوماتيكية. تضعه على مِفرشٍ يسمى "الثفال". عشرات الأرغفةً تتكوم على قطعة قماش قادمة مباشرة من "المعلقات"، ولكن من دون أن يلصق أحدها بالآخر، وتلك مهارةٌ يقال إنها حَكرٌ عليها. الرائحةٌ التي تهبُّ من هناك تتأرجح بخفَّة على افريز الصباح، الرائحةُ نفسها التي سمتها جدتك ألذّ اللذيذ، أما أشدُّ الشديد فتركته لرفسة البغل أو غدر القريب. المرأة المقرفصة على هيئة غزالة مُعمِّرة، تنهض حاملة "الثفال" إلى بيت تدبُّ فيه جلبةُ فريق كرة قدم. تشمّ، الآنَ، كأنَّ هناك من يمنحك فرصةً ثانية رائحةَ خبزٍ تتغلغلُ في أركان البيت، وتصل إلى اخوتك التسعة تحت لحف القطن المجعدة. بعد رائحة الخبز هناك روائح أخرى تؤذن ببداية نهارٍ عاديٍّ سيعبرُ، بلا تلكؤٍ، أطواره الثلاثة.

لهذا الوصف، الذي لا يتبرأُ من شبهة الحنين، أو الندم، أن يكون نموذجياً للصباحات التي عشتَها، أو يخيل إليك، بالقرب من جادة حسبتَ "خراباتها" مكاناً للعب والهرب من المدرسة وربما مسكناً آمناً للعفاريت. غادرتَ في سفرٍ لم تعرف، لَحظتها، كم سيطول، لكنَّ عمرك الذي قطع الخمسين كسهمٍ طائشٍ، يخبرك أنه تجاوز الثلاثين، عاماً بعد عامٍ بعد عام، وبلداً بعد بلدٍ بعد بلد. تمكن إضافة صورة أخرى إلى المشهد النوستالجي المستعاد من ذاكرة حرونٍ كي يبلغ الندم أقصاه: المرأةً نفسها جالسة على الأرض. أمامها "شكوة" بحجم خاروف ابن ثلاثة أعوام أو أربعة. يداها تخضَّان الجلد المنفوخ. يُسمع منه صوتُ سائلٍ حامضٍ يرتطم بانتظامٍ في الداخل. يدان منهمكتان في إقامة الأوَد. عينان غائمتان. هيئة شاردة على هيئة غزالة معمِّرة. لا تعرف بِمَ تفكِّر. التربية التي تعتبر العاطفة عيباً تمنعك من سؤالها. لا تسأل. لا تعرف. فات أوان السؤال، فمَنْ كان عليك سؤالها عن محتويات صندوق رأسها المغلق لم يعد ذلك ممكناً.

ملحمة أمجد ناصر

عبّاس بيضون
21 أبريل 2019

"هكذا تدفن رأسك بين الجموع
قف
اَنظر
ولّ ظهرك
لا فرق
لا شيء يغيّر اتجاه الريح التي تهبّ مثلجة
ولا السياط التي تجلد كائنات أسمع صراخها ولا أراها.
قف
انظر،
لا شيء يغيّر اتجاه الريح التي تهبّ قارسة
ولا هرولة الأشجار عارية أمام الجميع"
"
يخوض أمجد في القدر والنهاية والمصير أي في الملحمة
"

لسنا أمام دانتي ولا هي الكوميديا الإلهية، نحن فقط أمام شاعر أردني هو أمجد ناصر، ونحن أيضاً أمام مطوّلته القصيرة "مملكة آدم" المنشورة في العدد الأول من "براءات" التي تُلحق باسمها عبارة، الشعر أكثر الأفعال حظاً من البراءة، المقتبسة غالباً من نوفاليس. بالطبع لا يكاد ينطبق هذا التعريف على نصّ بقدر ما ينطبق على قصيدة أمجد ناصر. بالطبع ليس للشعر حظّ من الخبث أو المراءاة. يوجد الشعر حيث هو الملحمة الكونية، حيث هو القدر والمصير والموت والله، ولأن الشعر كذلك فإنه السلب المطلق.

إن الإيجاب الذي تعنيه أغاني الأزهار والأعياد والأعراس والحب والمديح والرضى. هذا الإيجاب هو سطح فحسب وليس بريئاً ولا هو مشتبه خبيث. إنه فقط الاحتفال والشعر يمتّ الى الاحتفال، الشعر لا يبعد كثيراً عن المهرجان وعن الولادة وعن العرس، لكن كل ذلك كما تقول لنا قصيدة أمجد ناصر لا يملك أن ينازع اللاشيء، حيث لا يوجد صانع ولا توجد إرادة ولا يوجد امتلاء وليس سوى الفراغ والخواء، أي بالكلمة سوى العدم ليس سوى لا ضخمة وكبيرة تطرد من أمامها كل معنى. الشعر يتقطّر ويُعتصر حتى يصل إلى اللامعنى هذا هو ما يركز في مطولة أمجد ناصر.

"هناك عيون تراك ولا تراها.
تنقل الصورة السالبة لشكل الركعة...
...
ادخل في هذا الليل الأرقط
الذي لا يصادف في النواحي
آلهة ولا أبطالاً مثلما في الملاحم
وحكايات ما قبل النوم

فلم تعد هذه الصحراء التي جئتها بيدين مرفوعتين
تنجب أنبياء".
على هذا الغرار تنساب مطوّلة أمجد ناصر، إنها من بدايتها
"لا تقول إنه الموعد
لا تقول إنه مكتوب".

يخوض أمجد في القدر والنهاية واللامعنى والمصير أي إنه يخوض في الملحمة، ونحن نقرأ ونشعر بأننا نقف على مشارف وقمم ملحمية، فنحن لا نصل إلى اللاشيء وإلى السلب المطلق، إلا بعد أن نخوض في أغوار فاغرة، إلا بعد أن نمرّ على الجميع وعلى المنفى وعلى السراب وعلى النهايات المظلمة. نحن هنا في حرب الإنسان مع نفسه وحربه مع قدره، وحربه مع الكون، ومع تهاوي معناه وصيرورة كل شيء إلى نفي عارم.

في مطولته الملحمية يخوض أمجد ناصر بالكلمات المحكمة، ما يمكن أن يكون عمارة من النهايات ومن المصائر والأقدار. إنه في معركة كونية، في سِفر كوني وفي صراع بين الأركان والمصائر، وبين المعاني واللامعاني، وبين الوجود واللاوجود لدرجة أن هذا النصَ يبني على الريح معركة سديمية وبلا حدود. إننا فعلاً في قلب الملحمة، ولو أن نص أمجد ناصر قصير بالقياس إلى الملحمة إلا أن كونية هذا النص توازي ملحمة كاملة، بل إن تقاطعاتها وقدرته على النفي والكتابة بالسلب، الكتابة بالخواء المحكم، تجعل من النص في سويته واستقامته وتناسقه وامتداده طابقاً بعد طابق وركناً بعد ركن معماراً حقيقياً وملحمة موجزة.

* شاعر من لبنان

حسان عزت

أمجد ناصر في مواجهة الطاغي
كتب : حسان عزت

وسأكتب حتى لايجف قلمي ولا يبرد جمر روحي معك يا أمجد وأنت تكتب بهذه المواجهة العظيمة ولا تلوي إلا على روح عرام متوقد وغلاب بعصفه ..
وأكتب مزودا بأزمان جلّى جمعتنا معا من ممالك غارقة وصاحية ..فلمن لنا غيركَ فيك شاعرا وكاتبا وصديقا .

أمجد أمام الضاري

من يكتب بوقد الروح ، وخلاصة الألم وهو يواجه الموت ، ليس كمن يتسلى او يتلهى أو يجرب في الرخاء ، مع ان الثاني يمكن أن يترك نصا ذاخرا وحيا مثل الأول إذا كتب بمقامرة الروح ..
لكن أمجد ناصر كان شاعرا معلما في الكتابة ، وقادا وجارحا ، وهنا مؤكدا لموهبة عظيمة لم ينل من جمرها الألمُ المضني والمرض القاتل ..
الكتابة هنا معادلة الروح عزم الحياة الولادة أمام الموت ، ولا شيء فوقها . هذه خطرة الشاعر وصرخته في مواجهة العدو الغادر والسافل والذي لايسمى ..
مثله مثل سرطان الغازي والفاشي والطاعون

وهنا يعيد لنا أمجد إرثا عظيما ووقدا جارحا تماما كما فعل محمود درويش وهو ينتصر ويدحر الموت تاركا لنا الجدارية ولا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي ..
امجد ناصر الصقر الحر الذي اختار الموقف والحرية والقضية على القبيلة والاقليم وعلى كل مغريات الشباب الاول فكان ديدنا للجرح الفلسطيني ومداه تماما على اثر الرائد غسان كنفاني ورفيقا لخطاه ، وهنا يعمد الحر حياته بمداد الروح وعزيمة المثقف الذي يكتب بفضاء اوسع من الجسد والمحيط والحدود الضيقة ، فيتعدد وهجه وكتابته تحت اكثر من سماء
ويذهب الى افاق قصيدة النثر وإلى الرواية والكتابة والتحقيق ليستخلص من الرمل ذهبا ..
وسيذكر الأدب ان امجد ناصر صديق بحثنا وكتابتنا وتطلعاتنا وأرواحنا وثوراتنا ، نحن الذين تمردنا زمن المشروع الكبير وحملنا شعلته في القصيدة والصحيفة والموقف والانتماء لحرية شعوبنا ، ولقضية فلسطين قبس الحرية لمنطقة وامة وشعب ..
وهنا انضفر امجد ايضا في قضية الحرية وثورات الربيع العربي فلازمها وعانق وهجها وأضاء واسعا من دربها وآفاقها وهو يشهد طوفان دم من ربيعها الدامي وبعض انتصاره ..
امجد ناصر الذي عمل في الهدف والقدس العربي وغيرها لم يغب يوما لا عن الشعر الجديد ولا عن القصيدة ولا عن مشروع التحرر والعمل الثقافي المنتمي لفلسطين روحا ومعنى ..
سلام عليك في الصاهلين مع افراس حرية ونور ..
استمر بوهجك يا أمجد بروحك بعزيمة الجبار الفلسطيني ، وازح عنك هذا الجبان الطاغي الموت بكل عزم الروح وانت لها ..قم صديقي